

صدر كتاب: «حياة الإمام زين العابدين» في مجلدين للشيخ اليوسف

صدر عن مهرجان تراثيل سجادية التاسع كتاب جديد لفضيلة الشيخ الدكتور عبد الله أحمد اليوسف بعنوان: «حياة الإمام علي بن الحسين زين العابدين» دراسة تحليلية للسيرة الأخلاقية والعلمية والسياسية للإمام زين العابدين» ويقع في مجلدين، وعدد صفحات الجزء الأول 596 صفحة، وأما الجزء الثاني فيقع في 340 صفحة من الحجم الكبير، الطبعة الأولى 1445 هـ - 2023 م.

علماً أن هذا الكتاب فاز بالجائزة الأولى في مهرجان تراثيل سجادية التاسع (25 محرم 1445هـ) الذي تقيمه العتبة الحسينية المقدسة في كربلاء سنوياً في ذكرى وفاة الإمام زين العابدين من كل عام.

واتبع الباحث في دراسته عن حياة الإمام زين العابدين المنهج العلمي الرصين، وفق القواعد والأدوات والآليات العلمية بما يفيد في الوصول إلى النتائج الصحيحة التي يتوصل إليها الباحث في نهاية البحث والدراسة؛ والتي دوّنّها في نهاية البحث.

وقد ركّز الباحث في دراسته على الأبعاد المهمة من حياة وسيرة الإمام زين العابدين كالبعد الروحي والمعنوي والأخلاقي، والبعد العلمي والفكري والمعرفي، والبعد التربوي والتعليمي، والبعد القيمي والإنساني، والبعد الاجتماعي والسياسي... وغيرها.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في بيان الأبعاد المختلفة عن حياة وسيرة الإمام زين العابدين بما يشكل مجموعها الصورة الكاملة لشخصيته، وعدم اختزال سيرته المباركة في بُعد واحد كعبادته وأدعيته وأخلاقه أو كثرة بكائه وشدة زهده كما يفعل بعض الكتّاب وبعض المؤرخين عند الحديث عنه، بل تسليط الأضواء على جوانب متعددة من حياته المباركة.

واستعراض ومناقشة كل الآراء المطروحة من قبل المؤرخين والكتّاب، ثم ترجيح الرأي المختار وفق الأدلة والبراهين العلمية في المسائل الخلافية أو الآراء المختلفة.

والاستفادة من سيرة الإمام في الجانب العلمي والجانب التربوي والجانب الأخلاقي والجانب الإنساني والجانب الاجتماعي، وغيرها من الجوانب في حياتنا المعاصرة؛ لأن في سيرته أسوة حسنة لكل المسلمين.

بدأ المؤلف الشيخ الدكتور عبداً اليوسف كتابه بمقدمة مفصلة، جاء فيها ما نصه:

«الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين (38-95هـ/659-713م) هو الإمام الرابع من أئمة أهل البيت الأطهار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَمْزَمَآ يَرْيَدُ إِلَّاهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وقد برز الإمام زين العابدين في فترة إمامته إماماً للمسلمين، ومرجعاً في الدين، ومبيناً للأحكام الشرعية، ومنازلاً في العلم، ومفسراً للقرآن الكريم، وحافظاً للحديث النبوي، ومعلماً للناس، ومربيّاً للنفوس.

وكان مثلاً أعلى في الإيمان والعبادة والزهد والتقوى والورع حتى لُقّب بسيد الساجدين، وزين العابدين، وإمام المتقين، ومنار القانتين.

وقد واجه الإمام في حياته كثيراً من المحن والمآسي، وكان أعظمها واقعة كربلاء المأساوية بكل تفاصيلها المؤلمة، وما أعقبها من تداعيات ومفاعيل كبيرة عاشها الإمام بصبر وتجلد عظيمين، وتحمل للمسؤولية، وحنكة في الإدارة، وبصيرة ثاقبة تجاه المتغيرات التي حدثت في زمانه.

وقد تقلّد الإمام زين العابدين مقاليد الإمامة بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين في فترة زمنية عصيبة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ومارس دوره الديني والقيادي بوعي وحكمة وأفق واسع مع حساسية المرحلة وصعوبة الواقع.

وقد رأى الإمام أن الأمة تواجه أخطاراً عظيمة، من أبرزها تأثير الأمة بالثقافات المتنوعة الوافدة والتي أثّرت على شخصية الإنسان المسلم، وعلى مسار الأمة الإسلامية ومستقبلها.

والأمر الآخر ضмор القيم الدينية والأخلاقية، وشيوع المفاصد والمحرمات نتيجة الرخاء في العيش، والإسراف في ملذات الدنيا وشهواتها؛ وذلك بهدف إشغال الناس بالدنيا وملهياتها، وإبعادهم عن روح الإسلام ومقاصده وأهدافه العليا.

ومن هنا، اهتمَّ الإمام زين العابدين عليه السلام بمأساة كربلاء ببناء الإنسان وتربيته تربية دينية وعلمية محكمة من أجل تأهيل صفوة مؤمنة تقود مسيرة الأمة، وتصح مسارها الخاطئ، وتساهم (فيما بعد) في نشر العلم والمعرفة في الحواضر العلمية الكبرى.

وبالفعل، فقد أولى الإمام عليه السلام التربية والتعليم اهتمامه الكبير سواء بالأدعية أو إلقاء الدروس العلمية في المسجد النبوي أو التركيز على القيم الأخلاقية بهدف بناء شخصية الإنسان المسلم؛ لأنه المحور الرئيس في بناء الأمة وتقدمها ونهوضها الحضاري.

أهداف الدراسة

أوضح الشيخ اليوسف أهداف دراسته المفصلة عن السيرة العطرة للإمام زين العابدين عليه السلام المباركة إلى تحقيق عدة أهداف رئيسة، أبرزها الآتي:

1- إبراز الجانب الروحي والمعنوي والأخلاقي والقيمي والتربوي والسلوكي والإنساني في حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام وتعريف الناس بهذا الجانب المهم من سيرة الإمام وحياته، لما لشخصيته من موقعية متقدمة في الوجدان الشعبي، ولما يتركه ذلك من أثر فاعل في تحفيز العمل بالقيم الروحية والأخلاقية والإنسانية.

2- التركيز على إبراز العطاء العلمي والإثراء المعرفي والكلامي والفقهني والتفسيري للإمام زين العابدين عليه السلام قدَّسه في هذه العلوم الدينية والمعارف الإسلامية من إضافات ومساهمات وإبداعات مهمة، ساهمت في إنماء العلم وإغناء المعرفة وترسيخ العقائد الحقة وتنمية الوعي بالمفاهيم الإسلامية والقيم الإنسانية والأخلاقية.

3- ضرورة التركيز على التربية والتعليم في إعداد كوادر علمية رسالية مؤهلة علميًّا وعمليًّا، وهذا ما قام به الإمام زين العابدين عليه السلام تربية وتعليم صفوة مختارة من خُلَّص رواته وأصحابه الثقة، وقد كان لهؤلاء - فيما بعد - الفضل الأكبر في نشر التراث الديني والعلمي للإمام زين العابدين عليه السلام وتعريف الناس بأصول الإسلام وفروعه.

4- أهمية التصدي للفرق والتيارات والاتجاهات المنحرفة والضالة والفسادة، فقد تصدى الإمام زين العابدين عليه السلام بحزم وقوة للغلاة والجبرية والمرجئة والقدرية وغيرهم، مبيدًا للمسلمين فساد معتقداتهم

وبطلان أفكارهم، ومحدّرًا إياهم من اتباعهم أو الافتتان بأفكارهم الضالة ومعتقداتهم الفاسدة، أو مجالستهم ومصاحبتهم، أو معاشرتهم ومصادقتهم؛ ففي كل عصر تبرز على الساحة الفكرية تيارات و فرق منحرفة وضالة تحتاج لمن يتصدى لفكرها المنحرف، ويوقف انحرافاتهما حتى لا تتمدد في جسد الأمة وفكرها.

5- بيان قيمة العلم وفضل العلماء، وأن تطور الأمم والشعوب وتحضرها إنما يكون بالعلم والمعرفة، وتشجيع الشباب على طلب العلم في مختلف مجالاته، وأهمية التخصص في الدراسات العلمية الدقيقة والمتميزة.

6- التأكيد على أهمية تعريف الناس بحقوق الإنسان، والاستفادة من رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام ضرورة إدراج مادة لـ "حقوق الإنسان" في مناهج التعليم؛ لنشر ثقافة الحقوق بين الطلاب والطالبات، لما لذلك من آثار إيجابية على السلوك الفردي والاجتماعي بما يؤسس لثقافة التسامح والتعايش الاجتماعي، وضمان الحق في الاختلاف مع الآخر المختلف مذهبًا ودينيًا.

7- نشر ثقافة العمل التطوعي في المجتمع، والتركيز على أخلاقياته ودوافعه الإنسانية، اقتداءً بسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا المجال الإنساني المهم؛ فقد عرف بتعامله الإنساني النبيل مع الفقراء والأيتام والمساكين وغيرهم، وكان يحتفي ويرحب بهم ويكرمهم، وكذلك تنمية قيمة العمل الخيري، وتقوية التراحم الاجتماعي، وتعزيز ثقافة العطاء وفعل الخير في المجتمع.

الدراسات السابقة

تناول الباحث الشيخ الدكتور عبد الله اليوسف الدراسات السابقة عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام كلامه بقوله:

«مع المكانة العظيمة والمقام الرفيع للإمام زين العابدين عليه السلام ومع ما سجّلته كتب الحديث والسيرة والتاريخ عن حياته وسيرته الحافلة بالعبادة والعلم والعمل، إلا أن ما كُتِبَ عنه من مؤلفات ومصنفات وكتب تحليلية ومفصلة ليست بالمستوى المطلوب سواء من حيث الكم أو کیف.

وبحسب ما دوّنّه الدكتور عبد الجبار الرفاعي حول عدد المؤلفات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام موسوعة ببليوغرافية بعنوان: "معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت" وتقع في أحد عشر مجلدًا، فقد بلغت المؤلفات عن الإمام زين العابدين عليه السلام ثلث مئة وتسعة وتسعين كتابًا فقط، وهو ما يجب أن يدفع

بالباحثين والكُتّاب إلى مضاعفة الكتابة عن حياة وسيرة هذا الإمام العظيم لتعريف الأمة بمكانته وموقعيته ومقامه وشرفه وفضله في الإسلام.

ومما لا شك فيه أن عدد المؤلفات عن حياته وسيرته المباركة قد زاد الآن عن ذلك العدد؛ لأن هذه الإحصائية مَرَّ عليها عدة سنوات، لكن تبقى الكتابات الجادة والتحليلية والإبداعية قليلة جدًّا.

وبالرغم من العدد المتزايد للدراسات والمؤلفات التي كتبت عن حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام إلا أن معظمها تركز على المناقب والفضائل والمعجزات للإمام، أو تنحو منحى السرد التاريخي بعيدًا عن التحليل والاستنتاج، وربطها بالواقع المعاصر.

وبالرغم من العدد المتزايد للدراسات التحليلية والتخصصية لمعرفة أبعاد شخصية بحجم ومكانة الإمام زين العابدين عليه السلام إلا أن معظمها تركز على الظروف التي عايشها في حياته، وما تركه من آثار أخلاقية وعقائدية وعلمية وتربوية واجتماعية وفكرية وسياسية ثرية.

ويجد المتتبع لهذه المؤلفات والمصنفات أنها لا تخلو من بعض الملاحظات المنهجية، كما يعتري أكثرها غياب المنهج العلمي الحديث في كتابتها، ما أثّر في استنباط النتائج العلمية الدقيقة، وإن كان بعضها لها قيمة علمية مهمة.

ثم استعرض بعض تلك المصنفات والمؤلفات عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام وأشار إلى نقاط قوتها والثغرات المنهجية الموجودة فيها.

هيكلية الدراسة

تتكون هيكلية هذه الدراسة العلمية عن حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام من خمسة أبواب، في كل باب عدة فصول، وهي كالآتي:

تبدأ الدراسة في بابها الأول والذي عنوانه المؤلف بـ "شخصية ومكانة الإمام زين العابدين عليه السلام"، ويتضمن هذا الباب ثلاثة فصول، وهي:

الفصل الأول: البطاقة الشخصية للإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثاني: الأدلة على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثالث: شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمات الأعلام.

أما الباب الثاني فعنونه بـ "السيرة الروحية والأخلاقية للإمام زين العابدين عليه السلام وفقهه فصلان، وهما:

الفصل الأول: السيرة الروحية للإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثاني: السيرة الأخلاقية للإمام زين العابدين عليه السلام

وكان عنوان الباب الثالث "السيرة العلمية والفكرية للإمام زين العابدين عليه السلام وتضمن هذا الباب ستة فصول، وهي:

الفصل الأول: علم الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثاني: البناء العقائدي عند الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثالث: العناية بالقرآن الكريم عند الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الرابع: جهود الإمام زين العابدين عليه السلام في نشر الحديث.

الفصل الخامس: فقه الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل السادس: مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام العلمية.

أما الباب الرابع لهذه الدراسة التحليلية عن الإمام زين العابدين عليه السلام موسومًا بـ "السيرة السياسية للإمام زين العابدين عليه السلام"، والتي تحتوي على ثلاثة فصول، وهي:

الفصل الأول: الإمام زين العابدين عليه السلام وحكمه عليه السلام عام عصره.

الفصل الثاني: المواقف السياسية للإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثالث: خطط الإمام زين العابدين عليه السلام في مواجهة الاستبداد الأموي.

وكان الباب الخامس نهاية هذا الكتاب، وهو بعنوان "الإمام زين العابدين عليه السلام شهادة وخلود" ويتكون من فصلين، وهما:

الفصل الأول: شهادة الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثاني: حكم ومواعظ بليغة للإمام زين العابدين عليه السلام

وختم الباحث هذه الدراسة العلمية عن حياة الإمام عليه السلام بتلخيص نتائج الدراسة التي توصل إليها الباحث في بحثه، ثم ذكر مجموعة من التوصيات التي يوصي بها، وبهذا تنتضخ خلاصة البحث ومرئيات الباحث.

مؤلفات أخرى عن الإمام زين العابدين

الجدير بالذكر أنه سبق وأن صدر للمؤلف كتابان عن الإمام زين العابدين عليه السلام وهما:

(1) الإمام السجادة عليه السلام الإنسان: صدرت الطبعة الأولى عن العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، عام 1439هـ - 2018م؛ والطبعة الثانية صدرت عن دار أطياف للنشر والتوزيع، القطيف، 1440هـ - 2019م؛ وقد تمت ترجمته بسبع لغات عالمية، وهي: اللغة الفرنسية، واللغة السواحلية، واللغة التركية، واللغة الأوردية، واللغة الهندية، واللغة البنغالية، واللغة الروسية.

(2) العناية بالقرآن الكريم عند الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام دراسة، القطيف - السعودية، الطبعة الأولى 1442هـ - 2021م.

